هؤلاء الإنجليز ...

وتمر بالمجاهد خواطر أخرى تشوش ذهنه وتشتت فكره.. خواطر تتصل بوسائل الإنجليز وأساليبهم العتيقة البالية معنا منذ أن نهضت مصر ورغبت فى أن تفض خلافًا معهم بالمفاوضة.. فذاك سعد زغلول زعيم مصر الراحل وقائد نهضتها أول ما وصفوه وصفوه بأنه زعيم الرعاع، وزعموا أنَّ المتعلمين من أبناء الوادى لا يؤيدونه ولا يؤمنون برسالته، وظلوا سنين ينكرون على سعد زعامته وقيادته، فلما ألجأتهم الظروف يومًا إلى التحدث إليه قالوا هذا هو ممثل الأمة وزعيم الكثرة بلا منازع، وقالوا إنَّ خصومه قلة أمرها يسير.. فلما قطع المفاوضة إذ وجدها غير منتجة ولا محققة لأمانى بلاده عادت تلقى عليه النعوت والأوصاف القديمة، فعاد زعيمًا للرعاع، وزالت فى لمح البصر الكثرة فى الأنصار والقوة فى الاتباع.

ومثل هذا بعينه حصل مع خليفته مصطفى النحاس، وحصل غير مرة، فإن ولى الحكم فهو الزعيم الذى ليس قبله ولا يمده زعيم، وهو الوحيد الذى يعبر عن إرادة الشعب والوزراء الإنجليز بل كبيرهم الحالى يتحدث فى سنة 1942 عن الشرف الذى يناله يوم يجلس إلى جانبه مصطفى النحاس فى مؤتمر الصلح.

كان ذلك ودول المحور تكاد تميل على الحلفاء الميلة الأخيرة، فلا تبقى ولا تذر، فكم من وعود بذلت وعهود قطعت، فإذا دارت محادثات أو مفاوضات وتمسك الوفد بحقوق البلاد وتعثرت المفاوضات، فالنحاس والوفد قوم دجالون، وعصابة أمرها يهون وهم فوق ذلك دعاة فساد، وقناصة مصالح، والشعب لم يعد كما كان معهم والأحزاب المؤتلفة كلها ضدهم، وهكذا يتغير الحال غير الحال وتظهر أثقال القيل والقال.

فالوفد عندهم هو الكل فى الكل إذا حاولوا أن «يبلفوه» أو ظنوا أنهم يورطونه.. يحرقون بين يديه البخور، وينثرون فى طريقه الزهور، فإذا أصر الوفد ولم يلن فللوفد الويل والثبور.

أما أحزاب القلة فإنها إذا تولت الحكم وتورطت فى إدارة شئون البلاد الداخلية، وسلكت سبيلًا غير مشروعة وقف الإنجليز يرددون فى صحفهم فى شماتة وزراية. تلك أمور داخلية.

وهكذا يدور بنا الإنجليز فى حلقة مفرغة منذ ثلاثين عامًا أو يزيد، فهم يلعبون بنا كالكرة فلا الأغلبية نجحت معهم وهى عنيدة متمسكة، ولا الأقلية أفلحت لأنها هزيلة غير مؤيدة.

وماذا يضر الإنجليز أن تتوالى الشهور والأعوام مادامت الجوهرة فى فم الأسد كما قال ملنر لسعد فى سنة 1920، وها هو الأسد وإن كان قد هرم فلاتزال الجوهرة بين فكيه.

ولست أريد أن أسرب اليأس إلى نفس دولة رئيس الوزراء إنما أنا أتنبأ بأنه سينتهى إلى الإيمان بأنَّ المفاوضة كوسيلة لتحقيق الأهداف القومية لا فادة ترجى من ورائها وأنَّ القوم لا يزالون يداورون ويراوغون مهما أشاعوا من عبارات التفاؤل المصنوع ورددوا من كلمات الأمل الخداعة.

ويؤكد المجاهد أنَّ الإنجليز يخطئون إذا ظنوا أننا بالمداهنة سنلين أو بالثناء سنستكين، وهم كذلك يخطئون أن توهموا أننا للقوة سنخضع، أو أمام الإرهاب سنتزعزع، وإذا كان الإنجليز يعتمدون على الزمن فإننا من جانبنا لا نعتمد على شىء سواه، والزمن كفيل بأن يصل بنا إلى أهدافنا كاملة غير منقوصة، فلن يتسرب اليأس إلى النفوس طال الزمن أو قصر.

فعلينا أن نتجمل بالصبر ونعد أنفسنا لمزيد من التضحية والبذل، وتلك وحدها هى وسيلة الظفر والنصر.

والله ولينا وهو نعم المولى ونعم النصير.